ارسطو وكتاب الشعر :(المحاكاة ، المأساة)

تأثر ارسطو بفلسفة افلاطون الا ان مذهبه في الفن يختلف في روحه العامة عن الروح التي تسود الفلسفة الافلاطونية ، وقد خصص ارسطو كتاب الشعر او السياسة بين فيها ارائه في الفن بأسلوب علمي ولا يلجأ ارسطو عند تفسيره للفنون الى الاساطير ويستلهم مثال الجمال المفارق كما يفعل افلاطون ، بل يذهب عكس ما قد ذهب اليه افلاطون عندما قال ان الفن قد هبط على الانسان من السماء حين جاء به الاله ووهبه للبشر .

اما ارسطو فيذهب الى القول بأن الانسان زودته الطبيعة باليد أقوى الاسلحة يستطيع ان ينتج بها من الفنون المختلفة ما يكمل به الطبيعة ويقومها واليد هي الاداة التي تخلق غيرها من الادوات وبها يصنع الانسان ماشاء من فنون .

ولقد حدد ارسطو مصطلح (المحاكاة) بعد ان كانت المحاكاة عند افلاطون مصطلح واسعا مبهماً يشمل كل انواع الابداع سواء فن الابداع العقلي الفلسفي او الابدع الفني ، فقد قصر ارسطو فكرة المحاكاة على الفنون ، بل خص الفنون الجميلة باسم فنون المحاكاة تميزاً لها عن باقي الفنون الاخرى التي غايتها أنتاج ما يستعمل او يفيد الانسان .

ويرى اذ كان الفن يحاكي الطبيعة فأنه لا يفق عند حد المحاكاة الحرفية بل أنه يكمل ما لم تستطيع الطبيعة أن تحققه فهو يحاكي إبداعها بما يبدعه من اشياء وموضوعات جديدة .

ولم يختلف ارسطو عن افلاطون في تأكيده على اهمية الفنون الجميلة في التربية والارشاد والخير والفضيلة لكنه يختلف في تفسيره لطبيعة اللذة الجمالية إذ راى ارسطو ان هذه اللذة تصفيه للانفعالات الضارة بالنفس وتنظيماً للمشاعر المضطربة . فالمرجع الرئيس لنظريته في الفن والشعر يرتكز في كتابة (فن الشعر) حيث تناول فيه نظرية المحاكاة والشعر المسرحي وشرح الكثير من آرائه عن التراجيديا وعن تذوقها ونقدها .

المحاكاة :

اذا كان افلاطون قد المح الى نظرية المحاكاة فإن ارسطو اعتمدها أساساً لفلسفته الفنية . لقد حدد الفن بانه محاكاة وجعل الفنون الجميلة أنواعاً من المحاكاة وطبق هذا المفهوم على الموسيقى والتصوير والرقص والشعر الملحمي والتمثيلي والغنائي .

يرى ارسطو أن فن الشعر قد نشأ في الانسان بفضل غريزة طبيعية فيه هي غريزة المحاكاة وميلة الى الايقاع فهو يستمد من الايقاع لذة فالشعر عند هو نوع من المحاكاة يقول : " ويبدو أن الشعر نشأ بين سببين كلاهما طبيعي ، فالمحاكاة غريزة في الانسان تظهر فيه منذ الطفولة . وسبب اخر هو ان التعلم ممتع لا للفلاسفة وحدهم بل وايضا لسائر الناس وأن لم يشارك هؤلاء فيه الا بقدر يسير ، فنحن نسر برؤية الصور لأننا نفيد من مشاهدتها علما ونستنبط ما تدل عليه ، كأن نقول إن هذه الصورة صورة فلان فإن لم نكن رأينا موضوعها من قبل فهي تسرنا لا بوصفها محاكاة ، ولكن لإتقان صناعتها أو لألوانها أو ما شاكل بها.

وسائل المحاكاة عند ارسطو" إن المحاكاة وسائل مختلفة ، فمن وسائل المحاكاة الالوان والرسوم فهذه المحاكاة هي التي تستعمل في الفنون التشكيلية من التصوير ورسم ونحت وقد تستخدم الصوت كما في فن الموسيقى وقد تستخدم الايقاع أو اللغة أو توافق النغم نستخدمها مجتمعة أو متفرقة .

اما موضوع المحاكاة فهو أخلاق البشر أو افعالهم المظهرة لهذه الاخلاق والمشاعر إما أن يصور الشخصيات أحسن مما هي في الواقع أو اسوء مما هي عليه في الواقع أو كما هي عليه فموضوع المأساة أناس عظماء وموضوع الملهاة أناس أخساء ، وموضوع الملحمة أناس فوق مستوى البشر العاديين .

أما سلوب المحاكاة منه القصص الذي يستعمل منها الرواية أو القصة ومنه الدرامي او المسرحي الذي يتحدث فيه الشاعر بلسان شخصياته . وقد فضل افلاطون النوع الاول وذم النوع الثاني لأن الشاعر المسرحي يتلون بلون الشخصية التي يتلبسها وهذا النوع من الشعر يصفه المحاكاة المذمومة التي تنقل الواقع .

أما ارسطو فقد عمم فكرة المحاكاة على كل أنواع الخلق الفني ولم يشترط في الفن ضرورة أن تكون الموضوعات المحاكية موضوعات عظيمة أو جميلة لأن محاكاة بعض الاشياء القبيحة قد تكون محاكاة جميلة .

غير أنه لم يذهب في تفسيره للمحاكاة الى حد القول بمحاكاة الواقع كما هو او الطبيعة على نحو ما عليها بل للشاعر ان يستعمل الصور المتذكرة والمتخيلة وعليه أن يخلق من كل هذه الاخلية ارتباطاً، وفي هذا المعنى يقول ارسطو عبارته المشهورة : "ينبغي أن نفضل المستحيل المحتمل على الممكن الذي لا يقبل التصديق " وهي تختلف فيما بينها اختلافا يؤدي الى اختلاف استجابة السامعين فمثلاً نجد أن الموسيقى الليدية تثير الحزن والكآبة ، والدورية لها تاثير متزن ، أما الفريجية فتثير مشاعرنا الحماسية ، وينطبق هذا التأثير ايضاً على الايقاع فلبعض الإيقاعات تأثير سكوني ولبعضها الآخر تأثير حسن ولغيرها سيء إذ إن العلاقة وثيقة بين النغم والايقاع وبين حال النفس . أما الناي فهو لا يعبر عن الخُلق بقدر ما يعبر عن الانفعال ويجدر أن يستعمل في تحقيق التطهير أكر ما يستعمل في التربية والتعليم .

المأساة :

ويعرف ارسطو المأساة بقوله: هي محاكاة لعمل جدي كامل ذي طول معين بلغة مشفوعة بألوان من التزيين يرد كل منها على انفراد في أجزاء العمل نفسه وبأسلوب درامي (مسرحي)لا قصصي وتثير حوادثها الشفقة والخوف لتحقيق التطهير من حدة الانفعالات .

عناصر المأساة :

1-العقدة

2-الشخصية

3-الفكره

4- اللغة

5-الغناء

1-العقدة: وهي اهمها وقد ترجمة كلمة العقدة بألفاظ متعددة فهي الحكاية أو هي موضوع ولكنها تمثل في المسرحية العقل الذي يحاكي واقع الحياة وهي في كل الاحوال العنصر الرئيسي في التراجيديا وأهم عناصر المسرحية لأنها تصوير لفعل يجري وتترابط الأحداث حوله .

ويشترط ارسطو أن يكون لهذا العمل وحدة عضوية بحيث يكون له بداية ووسط ونهاية وحجم محدد ، فوحدة الموضوع عنده أشبه بوحدة الكائن الذي يستحيل حذف جزء من إضافة جزء الية بغير إخلال بجمال هذا الكائن والى وحدة الفعل ، اي ان يدور موضوع التراجيديا حول فعل معين .

والموضوع الرئيسي أو العقدة يقضي أن تعرض ما يكن أن يحدث وفقاً للاحتمال أو الضرورة. والمحتمل هو ما يقع في أغلب الاحيان والضروري هو ما يمكن ان يقع بشكل اَخر. والاختلاف بينهما ليس الا اختلافاً في الدرجة ومعنى هذا أنه ينبغي أن يكون في ارتباط الاحداث منطق يقنع المشاهد بحيث يبتعد عما لا يقنع المشاهد ومن هنا فقد فضل المستحيل المحتمل على الممكن الذي لا يقبل التصديق فما لا يمكن حدوثه في العالم الواقعي يتحول بخيال الشاعر وقوة إقناعه الى مقنع وبناء على هذا القانون فإن المصادفة في الشعر تصبح موطن ضعف في التأليف لأنها لا تتفق والقوانين الطبيعية

ولأنها تبدو غير مرتبطة بعمله أو بسبب معقول فمن هذه الجهة وصف الشعر أنه أكثر فلسفة من التاريخ ، فالشاعر يعلو على الطبيعة ولكنه لا ينبغي له أن يعارضها .

ومن العقد ما هو بسيط وما هو مركب ، اما البسيطة فهي التي يحدث فيها تغيير في مقدرات البطل غير مصحوب بانقلاب أو بانكشاف ، ولكي تكون المأساة كاملة يشترط ان يحدث الانقلاب اي تغيير الحال من الحسن الى الاسوأ أو بالعكس إما بالانكشاف أو التعرف فهو الانتقال من الجهل الى المعرفة .

2-الشخصية :

فهي تكون المكانة الثانية من حيث أهمية عناصر التراجيديا ، ويشترط ارسطو أن تظل الشخصية ثابتة غير متضاربة متماسكة الصفات أي منطقية مع نفسها .
وللشاعر أن يدخل من خياله ما يجمل به الشخصية.
اما عن البطل التراجيدي فيصفه أنه لا شرير كل الشر ولا هو فاضل تماماً، وهو يسقط في الشقاء لا بسبب طبعه الشرير أو فساده الخلقي و أنما نتيجة خطأ لضعف أنساني فيه. وبهذا يمكن أنه يثير الشفقة والخوف معاً. كما ان المآسي التي تقع في نطاق العائلة الواحدة كأن يقتل أخ أخاه تكون أشد مما لو وقع الأمر بين عدو وعدو فإنه أمر لا يستثير الرحمة .

3- الافكار :

هو ما تعبر عنه الشخصيات من افكار.

4- اللغة أو العبارة هي التعبير عن الفكرة بالألفاظ سواء بالنثر او بالشعر ويشترط ضرورة مطابقة اللغة للشخصية .

5- الغناء :

كان يلعب عنصر الغناء في التراجيديا القديمة دوراً هاما وهو من أهم العناصر الممتعة التي نص عليها أرسطو في تعريفه للتراجيديا وكان على الشاعر أن يؤلف الموسيقى المصاحبة لغناء الجوقة .

6-النظر: وهو اقل عناصر التراجيديا أهمية إذ يمكن أن تتأثر بالمأساة وبغير تمثيل أو إخراج مسرحي .

اما الغاية التي اردها ارسطو من التراجيديا هي احداث ما أسماه بالتطهير الذي تحدثه التراجيديا في النفس الانسانية بواسطة إنفعالي الخوف والشفقة.